الشهيد حسان اللقيس.. مهندس السماء وسرُّ القوّة الصامتة في المقاومة

الوفاق ٦
د. اكرم شمص

الأيام الأولى من كانون الأول/ديسمبر من كل عام، تستعيد الذاكرة سيرة رجلٍ عاش في الظل، ولم يُعرف بين الناس إلا يوم ارتقائه، رغم أن بصماته كانت تملأ سماء لبنان وفلسطين والمنطقة.

إنّه الشهيد القائد حسان اللقيس، أحد أبرز العقول التكنولوجية في تاريخ المقاومة، والرجل الذي وصفه الشهيد الأسمى السيد حسن نصر الله بـ"أحد العقول المميزة واللامعة"، والذي اعترفت به الصحافة الصهيونية لاحقاً كأحد أهمّ صُنّاع التطور العسكري لحزب الله.

على مدى أكثر من عقدين، عمل اللقيس بصمتٍ وإصرار على هندسة القدرات التقنية والقتالية، من الاتصالات المعقدة إلى دقة الصواريخ، وصولاً إلى درّة التاج "سلاح الجو المسيّر"، ليصبح اسمه مرادفاً لمعركة الأدمغة بين المقاومة والاحتلال.

أولاً: في عيون العدو.. من "قوائم التصفية" الصامتة إلى الاعتراف الصاخب

منذ خمسينيات القرن الماضي، تبنّت الاستخبارات الصهيونية سياسة "تصفية الأدمغة"، مستهدفةً العلماء والقادة الذين يشكلون "كاسراً للتوازن". وفي هذا السياق، وُضع اسم حسان اللقيس على قوائم الاغتيال باكراً، باعتباره تهديداً استراتيجياً صامتاً.

لم يظهر اسمه في الإعلام الصهيوني المفتوح قبل استشهاده، إذ كان "شبحاً" بالنسبة للصحافة و"كابوساً" للدوائر الأمنية فقط. وقد أشار رونين بيرغمان في كتابه "انهض واقتل أولاً" إلى أن تل أبيب رأت فيه خطراً يوازي كبار العلماء العسكريين، وأن اغتياله هدف إلى "إبطاء" التطور التكنولوجي للمقاومة. أما مئير داغان، رئيس الموساد الأسبق، فقد ذهب أبعد من ذلك، معتبراً أن حزب الله بات يمتلك بفضل اللقيس قدرة نارية لا تملكها ٩٠٪ من دول العالم.

فور تنفيذ عملية الاغتيال في ٤ كانون الأول ٢٠١٣، تحوّل الصمت االصهيوني المطبق إلى سيلٍ من التحليلات التي كشفت حجم "الضربة" التي أراد الاحتلال توجيهها، وتجلى ذلك في تغطية الصحف الكبرى:

- صدمة "هآرتس": خرجت الصحيفة بعنوان عريض يصف العملية بأنها "نظيفة ومهنية جداً" (في تلميح لبصمات الموساد)، وصنّفت اللقيس كقائد عسكري مخضرم صاحب الدور المركزي في القفزات التكنولوجية للحزب، معتبرة غيابه "أكبر ضربة للتنظيم" في حينه.
- كشف المستور في "تايمز أوف إسرائيل": خصص الموقع سلسلة مقالات استندت لخبراء استخبارات (مثل رونين سولومون)، قدّمت اللقيس للجمهور الصهيوني بصفته "العقل المدبر" لبرنامج الطائرات المسيّرة (UAVs)، وحلقة الوصل المسؤولة عن تزويد الحزب بمنظومات إيرانية متطورة، وتهريب السلاح النوعي إلى غزة، فضلاً عن دوره السابق في قيادة الوحدات الصاروخية.

ورغم محاولة العدو الرسمية النأي بنفسها عبر تسريبات ربطت الاغتيال بالملف السوري، إلا أن الإعلام العبري (مثل "يديعوت أحرونوت/واي نت") ظل مسكوناً بـ"طيف اللقيس" لسنوات لاحقة؛ حيث عاد اسمه للظهور مع كل حديث عن تطور سلاح المسيّرات أو حوادث الطيران الشراعي، في اعتراف ضمني متأخر بأن هذا الرجل هو من وضع اللبنات الأولى للتهديد الجوي الذي لا يزال يؤرق الاحتلال حتى اليوم.

ثانياً: "ويكيبيديا المقاومة".. من الحلم إلى الواقع

وُلِدَ الشهيد في بعلبك، وعُرف منذ صغره بشغفه العميق بالتكنولوجيا. ومع التحاقه بالمقاومة عام ١٩٨٢، وجد مكانه الطبيعي في الميدان التقني. بفضل قدرته الفائقة على التعلم الذاتي، لُقّب بين رفاقه بـ"ويكيبيديا التكنولوجيا العسكرية"، حيث برزت إنجازاته في:

- تطوير سلاح الإشارة: بناء شبكات اتصال سلكية ولاسلكية معقدة.
- الحرب الإلكترونية: حماية الشبكات من التنصت والإعاقة الصهيونية.
- الهندسة العكسية: تحليل وتصميم أنظمة عسكرية حديثة ودمجها في البنية الدفاعية.

ثالثاً: مهندس السماء.. وكسر احتكار الجو

الإنجاز الأبرز في مسيرة اللقيس كان تأسيس الوحدة الجوية للمقاومة. بدأ بتجارب أولية أواخر الثمانينيات باستخدام أدوات بسيطة، ثم توسعت مشاريعه بمساعدة نخبة من المهندسين (كالشهيدين جميل سكاف وحسين أيوب). تحت قيادته، حققت المقاومة ماكان يُظن مستحيلاً:

١. اختراق الأجواء الفلسطينية: وصول طائرات "مرصاد" و"أيوب" إلى عمق الكيان، وتصوير مواقع حساسة كمفاعل ديمونا.

٢. تجاوز الرادارات: تطوير تقنيات التخفي وتضليل الدفاعات الجوية.

٣. بنك الأهداف: توفير معلومات دقيقة ساهمت في تعزيز الردع.

لقد حوّل اللقيس المعادلة من "سماء يسيطر عليها العدو بالكامل" إلى ما أسماه "سماء مشتركة"، مؤسساً لمرحلة المسيرات الانقضاضية والاستطلاعية التي نشهد تأثيرها اليوم.

رابعاً: الرؤية الاستراتيجية وبناء الإنسان

لم يكتفِ اللقيس بالجانب التقني، بل كان صاحب رؤية شمولية للمعركة:

- أشرف على تطوير دقة الصواريخ وتنوع مداها.
- قاد عمليات ردّ نوعية، منها عملية الريحان (١٩٩٤).
- الاستثمار في العقول: عمل على تأهيل كوادر علمية شابة من الجامعات اللبنانية في الفيزياء والتحكم، مؤمناً بأنّ المواجهة مع الاحتلال هي "معركة معرفة" قبل أن تكون معركة نار.

خامساً: القائد الإنسان "خُذ حتّى ترضى"

خلف القائد العسكري الفذّ، كان هناك إنسانٌ في غاية التواضع والبساطة. يُعرف بابتسامته الهادئة، يطبخ لرفاقه ويشاركهم تفاصيل حياتهم. واجه اللقيس سلسلة من الإبتلاءات بصبر عجيب؛ فقدَ ابنه "علي الرضا" في حرب تموز، ثمّ ابنته "آية"، وتوفي والداه في فترة متقاربة.

كان يواجه كل تلك المصائب بعبارة خطّها على صورة عائلته: "خُذ حتى ترضى". لم تكن سرّيّته مجرد إجراء أمني، بل جزءاً من شخصيته الزاهدة التي تعتبر الشهادة "باباً يفتحه الله لخاصة أوليائه".

سادساً: الاغتيال.. خوفٌ من المستقبل لا انتقامٌ من الماضي

في ٤ كانون الأول ٢٠١٣، نفّذت وحدة من الموساد عملية مركبة في منطقة "السان تيريز". لم يكن الاغتيال مجرد انتقام لإنجازات الماضي، بل كان محاولة يائسة لقطع الطريق على المستقبل. كان العدو يدرك أن ما يخطط له اللقيس للأعوام القادمة سيعاظم من مأزق العدو الوجودي.

ورغم نجاح عملية الاغتيال جسدياً، إلّا أنّ الفشل الاستراتيجي ظهر لاحقاً؛ فالمسار الذي خطّه اللقيس لم يتوقف، بل ازداد تطوراً ودقة.

الخاتمة: رجلٌ لا تموت روحه

لا تُقاس سيرة الشهيد حسان اللقيس بما كُشف عنها، بل بما بقي خفياً في الميدان. الرجل الذي عاش مجهولاً واستشهد معروفاً، ترك خلفه إرثاً جعل سماء لبنان أكثر منعة، وسماء فلسطين أقلّ أمناً للعدو. اليوم، تحمله كل طائرة مسيّرة تحلّق فوق الجليل، وكل صاروخ دقيق يصيب هدفه.

إنّه العقل المبدع، والسرّ الذي لا يزال يُقلق العدو حتى بعد رحيله.

لا تُقاس سيرة الشهيد حسان اللقيس بما كُشف عنها، بل بما بقي خفياً في الميدان

الشهيد حسان هو العقل المبدع، والسرّ الذي لا يزال يُقلق العدو حتى بعد رحيله

بعد استشهاد فلسطينيين إثنين بنيران قوات العدو

إضراب عام في الخليل.. وإصابات واعتقالات في عموم الضفة

شلّ الإضراب مناحي الحياة في مدينة الخليل، جنوبي الضفة الغربية، حداداً على روحي فلسطينيَّين أعدمها جيش الاحتلال الصهيوني وسط المدينة، ليل السبت، كما واصل الاحتلال اقتحاماته بالضفة واعتقل عددا من الفلسطينيين، في حين واصل المستوطنون اعتداءاتهم وأصابوا فلسطينية وحفيدها ومتضامنتين.

وليل السبت، أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية -في بيان- وصول جثمان الشهيد زياد نعيم جبارة أبو داود (٥٥ عاما)، مستشفى الخليل الحكومي. كما أعلنت -في بيان منفصل صباح الأحد- أن الهيئة العامة للشؤون المدنية الفلسطينية، وهي جهة اتصال رسمية مع الجانب الصهيوني، أبلغتها "باستشهاد الفتى أحمد خليل أحمد الرجبي (١٧ عاما) برصاص جيش الاحتلال في منطقة باب الزاوية بالخليل".

ووفق شهود عيان، فإن أبو داود، عامل نظافة كان على رأس عمله بمنطقة باب الزاوية وسط مدينة الخليل عندما باغته الجنود بالرصاص وأردوه شهيداً في وقت متأخر من مساء السبت، في حين أعدم الرجبي وهو يقود مركبته في ذات المنطقة.

ونعت نقابة العاملين وبلدية الخليل أبو داود، وأكدتا أنه استشهد "أثناء تأدية عمله" وأعلنتا الإضراب الشامل في كافة المرافق حدادا على روحه.

وإثر ارتقاء الشهيدين، أعلنت القوى السياسية الإضراب الشامل في الخليل، فأغلقت المتاجر أبوابها، وأعلنت المدارس والجامعات تعليق الدراسة لهذا اليوم، وتعطلت المؤسسات الخاصة والعامة وتوقفت حركة المواصلات إلا للضرورة.

من جهة ثانية، أكدت وكالة الأنباء الرسمية الفلسطينية "وفا" إصابة مسنة وحفيدها ومتضامنتين أجنبيتين صباح الأحد، في اعتداء مستوطنين عليهم في قرية المغيّر شرق مدينة رام الله.

وفي جنين، استهدف مقاومون قوات الاحتلال بالقنابل المحلية الصنع خلال اقتحامها بلدة السيلة الحارثية، غربي المدينة.

كما اقتحمت قوات الاحتلال الصهيوني فجر الأحد البلدة القديمة في مدينة نابلس، إضافة إلى بلدة جناتا شرق بيت لحم.

كذلك اعتقلت قوات الاحتلال، صباح الأحد، أسيراً محرّراً من قرية المزرعة الغربية شمال غرب رام الله.

غارات متواصلة على قطاع غزة

في غضون واصل جيش الاحتلال الصهيوني خرق اتفاق وقف إطلاق النار في قطاع غزة، مما أسفر عن استشهاد ٧ فلسطينيين خلال ٢٤ ساعة، إضافة إلى انتشال جثمانَي شهيدين من القطاع.

وفجر الأحد، نفذت طائرات حربية صهيونية غارات على شرق مدينة خان يونس جنوبي القطاع.

ووسّع جيش الاحتلال الصهيوني سيطرته على شرق مدينة خان يونس عبر إزاحة الخط الأصفر باتجاه الغرب.

وتوغلت الدبابات الصهيونية بغطاء جوي في بلدة بني سهيلا، ووضع جيش الاحتلال مكعبات صفراء على مدخل البلدة، ما يعني أن القرى الأربع أصبحت تحت سيطرة جيش الاحتلال.

ودمّر جيش الاحتلال الصهيوني منازل في بلدة بيت لاهيا شمالي قطاع غزة، كما توغّل جيش الاحتلال في منطقة الخلفاء بجباليا.

ومنذ وقف إطلاق النار، بلغ إجمالي الشهداء ٣٦٦ والمصابين ٩٣٨، فيما جرى انتشال ٦١٩ شهيدًا.

وارتفعت حصيلة العدوان الصهيوني إلى ٧٠١٢٥ شهيدًا و١٧١٠١٥ مصابًا منذ السابع من تشرين الأول/الأكتوبر ٢٠٢٣.

جيش الاحتلال يوسّع الخط الأصفر في خان يونس.. وأكثر من ٢٤١ ألفاً بين شهيد وجريح منذ بدء حرب الإبادة

عشرات القتلى.. وإدانات أممية

«الدعم السريع» تستهدف روضة أطفال ومستشفى في جنوب كردفان

قُتل عشرات المدنيين، بينهم أطفال، في هجوم نفّذته مليشيا الدعم السريع بواسطة مسيّرة استهدفت روضة أطفال ومستشفى في بلدة كلوقي بولاية جنوب كردفان، وفق ما أفاد مسؤول محلي، الأحد.

وأوضح الرئيس التنفيذي لوحدة كلوقي الإدارية عصام الدين السيد، في اتصال، أن المسيّرة شنّت ثلاث غارات، قائلاً: إن الضربة الأولى أصابت روضة الأطفال، تلتها ضربة على المستشفى، قبل أن تعود المسيّرة للمرة الثالثة وتقصف بينما كان الأهالي يحاولون إنقاذ الأطفال وإجلاءهم.

وحَمَّل المسؤول مليشيا الدعم السريع وحليفتها الحركة الشعبية لتحرير السودان – شمال، بقيادة عبد العزيز الحلو، التي تسيطر على معظم مناطق كردفان وأجزاء من ولاية النيل الأزرق، مسؤولية الهجوم.

وقالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) إن الهجوم أسفر عن مقتل أكثر من عشرة أطفال تراوحت أعمارهم بين ٥ و٧ سنوات، فيما قدّرت وزارة الخارجية السودانية عدد الضحايا بنحو ٧٩ قتيلاً، بينهم ٤٣ طفلاً.

في حين قال مسؤول محلي سوداني إن عدد الضحايا ارتفع إلى ١١٤ قتيلا جراء الهجوم الذي شنته قوات الدعم السريع على مدينة كلوقي بولاية جنوب كردفان، والذي لقي تنديدا محليا ودوليا.

مقتل أطفال أثناء دراستهم في المدرسة

وأكد ممثل يونيسف في السودان شيلدون يت، أن قتل أطفال داخل مدرستهم يمثّل "انتهاكاً مروّعاً لحقوق الطفل"، داعياً جميع الأطراف إلى وقف الهجمات والسماح بوصول المساعدات الإنسانية إلى المحتاجين.

وبعد سيطرتها على الفاشر، آخر معاقل الجيش في دارفور غرب السودان في نهاية تشرين الأول/أكتوبر، نقلت مليشيا الدعم السريع هجومها شرقاً إلى إقليم كردفان الغني بالنفط، والذي يضم ثلاث ولايات. وقد رافقت عملية الاستيلاء على الفاشر عمليات قتل جماعي واغتصاب ونهب، بحسب منظمات غير حكومية وشهادات ناجين.

مخاوف من "موجة جديدة من الفظائع"

والخميس، أعرب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان فولكر تورك عن مخاوف من "موجة جديدة من الفظائع" في السودان.

ومنذ سيطرة مليشيا الدعم السريع على مدينة بارا في شمال كردفان في تشرين الأول/أكتوبر، قُتل ما لا يقل عن ٢٦٩ مدنياً في غارات جوية وقصف مدفعي وإعدامات خارج نطاق القضاء، وفق مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان. ويرى محللون أن تصعيد الدعم السريع في كردفان يهدف إلى كسر الطوق الدفاعي للجيش السوداني حول وسط السودان، تمهيداً لمحاولة استعادة المدن الكبرى، بما في ذلك الخرطوم، التي استعادها الجيش السوداني في الربيع الماضي. ودان الاتحاد الإفريقي الأحد الغارات على كلوقي، منددّاً بما وصفه بـ"الفظائع المتكررة والمتصاعدة ضد المدنيين". وأدانت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) الهجوم، وقالت إنه يمثل انتهاكا مروعا لحقوق الأطفال، وأكدت أن قتل الأطفال وتشويههم، والاعتداءات على المدارس والمستشفيات، تعد انتهاكات جسيمة لحقوقهم. من جانبه، أدان الاتحاد الأوروبي بشدة الهجوم الذي استهدف مدينة كلوقي، وقالت مفوضة إدارة الأزمات في الاتحاد الأوروبي حاجة لحبيب إن ما جرى "يمثل جريمة حرب واضحة"، مؤكدة أن استهداف المدنيين والبنية التحتية المدنية أمر محظور تماما بموجب القانون الدولي الإنساني.